

ويعتبر كثير من النقاد أن فكرة الرمز (Notion of Symbol) هي جوهر نظرية كولردج النقدية، فالعمل الفني عنده هو رمز يحتل موقعاً وسطاً بين عالم الطبيعة وعالم الفكر، وهو بذلك يعتبر أن عملية التذوق الجمالي وعملية الخلق الفني هما تصوير رمزي لخبرة تخيلية، ويرى كولردج أن فكرة الرمز (Symbolization) تخدم الناقد والشاعر على السواء. وعلينا هنا أن نؤكد حقيقة هامة، وهي أن كولردج لم يهدف في نظريته النقدية الفلسفية أن يزود الناقد بمجموعة من القواعد يستخدمها في الحكم على عمل فني ما إذا كان هذا العمل الفني نتاج عبقرية، أم أنه ليس كذلك إذ أن العكس هو الصحيح. ذلك أن الكثيرين من النقاد يرون أن أعظم إنجازات كولردج النقدية كانت تحرير النقد من الكثير من القواعد النيوكلاسية التي ظلت سائدة حتى نهاية القرن الثامن عشر، وبهنا أن نؤكد أن نظرية كولردج النقدية هي خير مثال على ما اصطلح على تسميته بالنقد الفلسفي (Philosophical criticism) الذي يقوم على أساس الربط بين المبادئ الفلسفية والنقد الأدبي. وغاية النقد القصوى عنده هي وضع مبادئ التعبير الفني (Principles of writing) وهذا عنده له الأولوية على وضع قواعد يحكم بها على أعمال الآخرين. وكولردج يرى أن كل عمل فني هو خلق فني فريد من نوعه، بل هو يرى أن الأجناس الأدبية (Literary genres) إنما وجدت بسبب طبيعة المادة التي يتضمنها كل جنس من هذه الأجناس الأدبية، ووظيفة الناقد ليست قياس مدى مطابقة العمل الفني لتعريف محدد لشكل هذا النوع من العمل الفني، وإنما وظيفته تمييز (أو إبراز) إلى أي مدى ينسجم هذا العمل الفني مع قوانين طبيعته الداخلية، وهي طبيعة عضوية وليست آلية، وأهم مبدأ نقدي هو أن يميز الناقد الكيفية التي يصل بها الفنان بخلقه الفني إلى مرحلة التكامل العضوي، أي كيف تتحدد وتتلاحم وتتداخل عناصر العمل الفني فتكون وحدة كاملة متكاملة، تزيد عن مجمل الأجزاء المكونة لهذا الشكل. وهذه الوحدة العضوية هي سمة أساسية من سمات الرمز عند كولردج.

والرمز عند كولردج يعلو على المفهوم أو المدرك (Concept) ولكن العقل البشري لا يحقق أعظم إنجازاته إلا من خلال تفاعل الرمز مع المفهوم. والعقل البشري يحاول أن يعبر عن جوهر خبرته بأشكال رمزية لأن التعبير من خلال المفاهيم (Conceptual expression) لا يصلح في أغلب الحالات للتعبير عن جوهر هذه الخبرات، ولذا فإن وظيفة الفنان هي أن يجسد خبرته التخيلية في رموز، ولكن وظيفة الناقد هي أن يترجم هذه الرموز إلى فكر منطقي. وهذا يعني أن الفن يستخدم مظاهر العالم الطبيعي للتعبير عن رؤية الفنان لهذه الأشياء، ووظيفة النقد هي الحكم على مدى نجاح المحاولة. ويرى كولردج أن أول شيء يجب على الناقد أن يستكشفه هو مدى نجاح الشاعر في ترجمة فكره إلى لغة شاعرية، أي إلى أي مدى نجح الشاعر في تجسيد فكره في صورة رموز تناسب ما ترمز إليه بحيث يندمج الرمز والمرموز إليه في